الأطر النظرية والمنهجية لدراسة الميديا الجديدة: قـــراءات نقـــــدية

الأستاذ: نورالدين هميسي

جامعة سطيف 2 ، الجزائر

الملخص:

لا زال الاشتغال العلمى على ظاهرة الميديا الجديدة في بداياته، وبالرغم من أن النظرة إلى هذه الظاهرة تبدو للوهلة الأولى "احتفائية" إلا أنها تفتقد بحسب بعض الباحثين إلى دواعى الاحتفاء، وذلك بسبب عدم الاستقرار بعد على منهجية واضحة لإثبات أثرها في حياة الناس والمجتمعات على الرغم من أن الملاحظة الأولية توحى بوجود تحولات بالغة. في هذا الشأن، فإن تقريرا صادرا عن معهد السلام الأمريكى عام 2010 يشير إلى أن الأطر النظرية والمنهجية المتوفرة حاليا تبدو غير كافية لتفسير أثر الوسائط الجديدة في حياتنا على الرغم من أنه يبدو واضحا.

Résumé :

La recherche sur les nouveaux médias parcourt ses premiers pas. Malgré le fait que la perception de ce phénomène est bel et bien "célébrant", elle manque, selon certains chercheurs des raisons de célébrer. Cela est dû à l'instabilité méthodologique dans le processus de démontrer son impact sur la vie des personnes et des communautés, même si le premier constat suggère l'existence de changements extrêmes. À cet égard, un rapport publié par l'Institut américain pour la paix en 2010 indique que les cadres théoriques et méthodologiques actuellement disponibles ne semblent pas suffisants pour expliquer l'impact des nouveaux médias dans nos vies, même si il semble clair.

مقدمة:

لا تزال وسائل الإعلام تشكل مكونا أساسيا ضمن منظومة المجتمعات المعاصرة، وذلك بالنظر للدور الكبير الذي تلعبه من الإمداد بالمعلومة إلى ضمان التكيف إلى الدور التاريخي في نقل الثقافة من جيل إلى آخر. يبقى هذا الدور قائما وبشكل أكثر قوة واختلافا ببروز أنماط جديدة من التواصل فرضها التطور الهائل في الوسائط، حيث يتجه المجتمع المعاصر إلى الاعتماد أكثر فأكثر على شبكة الإنترنت والوسائط المرتبطة بها، والتي تأتي على رأسها حاليا شبكات التواصل الاجتماعي والهواتف والألواح الذكية، ضمن عمليات الحصول على المعلومات وتوزيعها.

لقد انعكس هذا التطور السريع على جهود البحث في ظاهرة الاتصال، فالميديا الجديدة تلقى اهتماما علميا متزايدا من حيث كونها ظاهرة آخذة في التوسع، وهذا الموضوع يجد صدى كبيرا من الناحية المعرفية لأنه يجر وراءه تبعات أخرى شكلت إشكاليات علمية على غرار الشخصنة الفائقة لمحتويات الميديا الجديدة ، الهويات والعلاقات الافتراضية، تعقدات الشبكات الاجتماعية عبر هذه الميديا، التأثيرات المتشابكة والمتداخلة مع الوقائع الاجتماعية المختلفة، طبيعة المحتويات المعروضة ومدى إمكانية التأكد من حقيقتها...

ولهذا السبب، فقد اعترف التقرير الذي أصدره خبراء بالمعهد الأمريكي للسلام عام 2010 بأن وسائط الميديا الجديدة لها تأثيرات واضحة على الحياة الاجتماعية والسياسية للمجتمعات المعاصرة، غير أن هناك اتفاق على أن هذه الظاهرة لا تزال غامضة بالنظر للحاجة إلى تطوير المزيد من الأطر النظرية والمنهجية لفهم ما طرأ من تغيرات على الإعلام بنمطه التقليدي، حيث تعددت أشكال الوسائط وطرق التبليغ في الإعلام الجديد واستنفذت في تحليلها الأدوات المنهجية المتوفرة سابقا[1].

لقد أضحت الميديا الجديدة تحديا بحثيا مهما بالنسبة للمشتغلين في مختلف حقول العلوم الاجتماعية، وهذا التحدي لا يقف عند حدود فهم الظاهرة والتنظير لها فقط، وإنما يمتد إلى كيفية مقاربتها منهجيا، وهو الأمر الذي يبقى محل تساؤل، حيث سنرى من خلال هذه الورقة كيف أن أكثر من درسوا ظاهرة الميديا الجديدة إنما استعانوا بالنظريات والمناهج المستخدمة في دراسة الإعلام التقليدي مع إجراء التعديلات اللازمة للتكيف مع الطابع التقني والافتراضي لأغلبية الوسائط الجديدة، بالموازاة مع ابتكار بعض الحلول النظرية والمنهجية البديلة الناتجة عن الخصائص التكنولوجية الفائقة للظاهرة.

1/ نظريات الميديا الجديدة: قراءات نقدية

كما أسلفنا سابقا، فإن البحث في الميديا الجديدة لم يكن سوى امتدادا للتراث الكبير المعروف في بحوث الإعلام التقليدية، وهنا يجب التأكيد على أن تفسير طبيعة وتأثيرات الميديا الجديدة وفقا للأطر النظرية للإعلام التقليدي يبدو ممكنا، غير أنه يحتاج إلى تطوير وتطعيم بأطر جديدة، وذلك بالنظر للطابع الخاص لهذه الظاهرة والمختلف إلى حدّ ما عن الوسائط التقليدية كالتلفزيون والصحف والإذاعات. من هذا المنطلق، فإن الأطر النظرية التقليدية تقبل كإطار عام لتفسير ظاهرة الميديا الجديدة، غير أنه كانت هناك حاجة لتطوير نماذج جديدة للنجاح بشكل أفضل في تفسير الظاهرة.

يعتبر دينيس ماكويل، أحد أشهر منظري الإعلام في العالم، في كتابه الشهير "نظريات الإعلام" في طبعته السادسة الصادرة عام 2010 بأن ثمة تطورات هائلة في ممارسة الاتصال من خلال الميديا الجديدة، وهذه التطورات تستدعي الانتقال إلى مرحلة جديدة في التنظير، حيث خصص فصلا كاملا في هذا الكتاب معنونا بـ"هل هي نهاية الإعلام الجماهيري التقليدي" للحديث عن هذا الموضوع، قائلا بأن ثمة حاجة ملحة لتقديم أفكار أكثر عمقا لفهم الميديا الجديدة وبأن النظريات الحالية المتمحورة حول مفهوم "الوسيط" medium غير كافية[2].

ويؤكد كل من كيم سونغ تاي ودافيد ويفر هذه الحاجة للتطوير بالقول بأن نظريات الميديا التقليدية يجب أن يعاد صياغتها لتتلاءم والمعطيات الجديدة لتمدد شبكة الإنترنت في الحياة الاجتماعية، وإعادة الصياغة يجب أن تشمل كذلك أدوات البحث الإمبريقي والتأويلي، وكذلك إجراء مقارنات بين النظريات لاختيار الأنسب منها لتفسير التغيرات الجسيمة التي أفرزتها الميديا الجديدة[3].

بهذا التصوّر، فقد بقيت التيارات النظرية التقليدية شائعة إلى حد ما في إطار دراسات الميديا الجديدة، حيث دعى البعض وعلى رأسهم الباحث الفرنسي الشهير دومينيك فولتون إلى إدراج التنظير لآثار شبكة الإنترنت ضمن مختلف النظريات التقليدية لأنه لا يمكن بأي حال من الأحوال أن تنفصل الميديا الجديدة عن مسيرة تطور ظاهرة التواصل الإنساني في مختلف تجلياته[4].

وقد كان هذا التراث النظري التقليدي المستمد أصلا من جملة من أهم التيارات البحثية في العلوم الإنسانية والاجتماعية، من دراسات وسائل الإعلام إلى الإثنوغرافيا إلى الاقتصاد والاقتصاد السياسي إلى علم الجمال وتحليل الخطاب ودراسات الجمهور[5].

هكذا كانت محاولات مجموعة من الباحثين للاستمرار في الاعتماد على بعض النظريات القديمة وتكييفها لتكون أكثر صلاحية للتفسير، فيما سقطت بعض النظريات الأخرى على غرار نظرية حارس البوابة التي تعتبر من بين التراث النظري الذي أضحى غير منسجم تماما مع واقع الميديا الجديدة. وبالمقابل، وبالتأكيد فإنه لن تكون هناك نظرية تقليدية تمتلك كفاءة عالية في التنظير للظاهرة بقدر نظرية الحتمية التكنولوجية للناقد الأدبي الكندي مارشال ماكلوهان، وهي النظرية التي حاول من خلالها أن يقدم قراءات استشرافية لعالم المستقبل الذي ستصنعه الميديا الجديدة، وفي مقدمتها شبكة الإنترنت وقدراتها على تقريب الأفراد بواسطة فعل "التشبيك". لتوضيح الرؤية جيدا، يجب أن نتذكر بأم ماكلوهان كان يرى في التلفزيون بداية جادة للتحول نحو القرية الكونية، غير أنه كان بالمقابل

يشدد على أن النمو سريع الوتيرة للوسائط الرقمية سيجعل من هذه القرية أمرا واقعا.

وتتفق هذه الرؤية بوضوح مع ما كتبه آل غور، نائب الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون، عام 1994 حول الطريق السريعة للمعلومات التي ستكون المحرك الرئيسي لشكل جديد من المجتمع الإنساني سيطلق عليه "مجتمع المعلومات"، وهو مجتمع تنتهي فيه حالة "ندرة المعلومة" مثلما يقول نائب الرئيس الأمريكي السابق[6]، فبعد أن كانت حكرا على وسائل الإعلام، ها هي الإنترنت تجعل منها متاحة في أي وقت وفقا لحاجة المستخدم.

إن فكرة غور حول الطريقة السريعة للمعلومات ليست في الأصل سوى فرضا جوهريا ضمن الإطار النظري الاستشرافي الشامل الذي قدمه ماكلوهان حول مستقبل المجتمع البشري الذي بدأ ولا زال يتجسد للعيان حاليا، حيث كان مالكوهان ينظر إلى التلفزيون، الراديو، الهاتف، التلغراف والآلة الكاتبة على أنها ستكون الوسائل الأساسية التي ستصل أطراف العالم أو القرية الكونية بمفهومه الخاص[7].

وإن كان ماكلوهان لم يتحدث تماما عن الإنترنت أو بقية أنماط الشبكات التي كانت في ذلك الوقت مجرد مشاريع قيد الاختبار إلا أنه بالتأكيد كان ليعتبرها الرابط الأساسي لأطراف القرية الكونية لأنه بإمكانها أن تستوعب كل الوسائل التي ذكرها وبكفاءة عالية جدا، بحيث بالإمكان مشاهدة المكتوب وقراءة المسموع وقراءة المصوّر بشكل متداخل جدا.

ويمكن على العموم تصنيف نظرية ماكلوهان على مقربة من مختلف النظريات الوظيفية التي ترحب بالظاهرة، وإن كانت نبوءات الناقد الكندي ثنائية القيمة، فهي من جهة تؤكد على الدور الحاسم للميديا الجديدة وقدرتها على تحويل العالم المترامي الأطراف إلى قرية صغيرة وإن كانت في المقابل تطرح أسئلة حرجة عن مصير الإنسان في المستقبل، على خلاف النظريات الوظيفية التي تولي

كامل اهتمامها للبحث في الوظائف والأدوار التي تلعبها الميديا الجديدة في المجتمع، وهي على كل حال نفس الوظائف تقريبا التي يقوم بها الإعلام التقليدي.

وفي هذا الشأن، يستند الكثير من الباحثين إلى الإطار النظري الوظيفي الذي يقترحه هارولد لاسويل، والذي يجمل الوظائف التقليدية ممثلة في وظيفة الإخبار والربط بالبيئة، الوظيفة التجارية، وظيفة الترفيه، وظيفة مواكبة التحولات المجتمعة ووظيفة الضبط والرقابة التي يرى فيها أغلب الباحثين إنجازا نظريا يشترك فيه كل من جيريمي بنتام وميشال فوكو. ولا يزال هذا الإطار النظري في نظر الكثيرين صالحا جدا لتفسير ظاهرة الميديا الجديدة التي لا تختلف كثيرا في نظرهم عن الإعلام التقليدي من حيث الغايات والمنتهيات داخل الحياة الاجتماعية على الرغم من الاختلاف في الممارسات.

وفي مقابل النظريات الوظيفية التقليدية، اتسعت رقعة التيار النقدي في مجال دراسات الإعلام بسبب ظاهرة الميديا الجديدة بدورها، وفي هذا الصدد ترفع بعض الدراسات شعارا جديدا للنظرية أطلقت عليه اسم "النظرية النقدية 2.0" في إحالة إلى تقنية الويب 2.0 التي تقوم عليها مختلف تطبيقات الميديا الجديدة[8].

وهذه النظرية ليست في الأصل سوى إعادة صياغة لمختلف الأطروحات النقدية حيال وسائل الإعلام التقليدية، وخصوصا أطروحتي اللامساواة في الحصول على التقنيات الجديدة للتواصل، الهيمنة والاقتصاد السياسي، بما يتلاءم والمناخ الميديائي الجديد الذي يدور حول الإنترنت والتشبيك.

يقدم لنا تيو روهل نظرة عامة حول الأطروحات الأساسية للنظرية النقدية في صيغتها المكيفة مع الميديا الجديدة، وهذه الأطروحات المستمدة أصلا من أبرز أفكار كل من جورغن هابرماس وميشال فوكو تتمثل في ثلاث: القوة، العقلانية والانغلاق[9]. بالنسبة للقوة، فإن أي نظرية لا تناقش مسألة القوة داخل المجتمع لا تستحق أن تكون نظرية، وبخصوص الميديا الجديدة فإنه من الضروري التساؤل حول مدى قدرة المستخدمين على الاستغلال الأمثل لمختلف الوسائط

داخل المجتمع، حيث يسمح منظور الاقتصاد السياسي بإثارة أسئلة مهمة حول من يتحكم في هذه الوسائط ومدى بلوغ الناس مرحلة الحرية التامة في استعمالها. وبرأي روهل، فإن هناك العديد من الدول المتقدمة تمارس رقابة كبيرة على استخدام الإنترنت من قبل مواطنيها، وذلك بغية توجيههم نحو نمط المعيشة الرأسمالي. وتلعب الطبقات الاجتماعية بحسبه دورا مهما في فهم ظاهرة الميديا الجديدة، لأن الطبقية داخل المجتمع تجعل من الثورة الرقمية ظاهرة ذات مستويات عديدة.

أما بالنسبة للعقلانية، فيفترض في كل نظرية أن تقدم طريقا لجعل حياة الناس أكثر عقلانية، وهو ما أخفقت فيه النظريات الوظيفية. وحول هذا الموضوع، يقول روهل بأن الميديا الجديدة لم تستطع الخروج من نسق العقل الأداتي الذي نددت به النظرية النقدية منذ بداياتها الأولى، حيث تدور مختلف الأسئلة حول استخدام هذه الوسائط بعيدا عن أي غائية غير تلك التي يحددها من يتحكم في التكنولوجيا.

وبالنهاية، فإن مسألة الانغلاق تطرح في المستوى الأخير من النقاش، فالنظريات الوظيفية ترفض النظر إلى أي أدلة لإثبات الحقائق لا تكون إمبريقية مستمدة من الواقع الراهن الخاضع للملاحظة والقياس، وبالتالي فإنها لا تعترف بالأدلة التاريخية أو البحث الإثنوغرافي مثلا. ويرى روهل بأنه وعلى عكس المنظور الوظيفي، فإن الإثنوغرافيا قدمت أدلة عديدة عن قدرة الناس على استغلال الإنترنت مثلا للخروج عن نسق النظام المفروض من أصحاب القوة داخل المجتمع، وذلك من خلال عمليات اجتماعية متكررة ترتبط بممارسة الهوية والجندر أو بالمقاربة التفكيكية للنصوص من خلال الفهم المشتت للمتلقين.

ويتداخل التيار النقدي بهذا الشكل مع التيار ما بعد الحداثي الذي يشكك في كل منجزات الحداثة ويعيد الفروق بين الأفراد إلى الواجهة، وهنا يمكن الاستئناس بكتاب روبرت صامويل المعنون بـ"الميديا الجديدة، الدراسات الثقافية والنظرية النقدية في عصر ما بعد الحداثة"، وهو عبارة عن قراءة في أعمال الكثير

من أبرز منظري تيار ما بعد الحداثة في السنوات الأخيرة بخصوص الميديا الجديدة وتأثيراتها الثقافية والاجتماعية، وبينهم هنري جينكنز، سلافوي زيزيك، فريديريك جيمسون...

وفي هذا الكتاب نجد ملامح شاملة عن تصوّرات النظرية ما بعد الحداثية عن أدوار الميديا الجديدة في مختلف نواحي الحياة، حيث يصنف صامويل مختلف التيارات ضمن خانة واحدة يطلق عليها "النقد الراديكالي للنظرية الأكاديمية"، وفي موقع آخر يصفها بـ"نقد النظرية النقية"، ومجمل هذه التيارات تذهب في رأيه إلى اعتبار الميديا الجديدة تعبيرا عن حالة تغير اجتماعي كبيرة الحجم تستدعي الخروج عن التراث النقدي الحالي المتمحور حول مجموعة مفاهيم مثل الطبقة والجنس والهيمنة المؤسساتية إلى تفكير جديد قائم على الإيمان بالفروق الكثيرة بين الأفراد وقدرتهم على صناعة المحتوى الإعلامي المتداول جماهيريا وتلقيه وفقا لآليات ومعايير شديدة التباين لا يمكن على أساسها إصدار أحكام على المستوى الاجتماعي[10].

وبناء على هذا التصور، يقدم صامويل مفهوما جديدا هو "الحداثة الذاتية" (Automodernity) كبديل ممكن جدا لمفهوم "ما بعد الحداثة"، وهذا المفهوم يشير إلى اضمحلال التصوّر المؤسساتي للإعلام التقليدي الذي تصاحبه سلبية مطلقة من الجماهير، وهنا بالتحديد تكمن نقطة التحول الرئيسية التي تعتبر بمثابة مفارقة، ففي هذه النقطة بالضبط يشير هنري جينكنز، أحد أبرز منظري الميديا الجديدة، يمكن تحديد بؤرة التحول النظري الأكبر، إذ هنا يسقط التصور النظري التقليدي المؤسساتي نحو نمط جديد من التنظير القائم على فعالية المتلقي عن طريق ما يسميه "سياسات المشاركة"[11] (The Politics of Participation).

ومن هذا المنطلق، تشيع في دراسات الإعلام الجديد بعض المفاهيم المستحدثة على غرار الصحافة التشاركية أو الإعلام التشاركي، وهي عبارة عن مفاهيم تعكس بقوّة تحوّل الجماهير إلى منتج فعال للمحتوى الإعلامي في تغير واضح يطلق عليه هنري جينكنز "دمقرطة الإعلام".

هذا التحول في مسار الإعلام والتنظير يتجسد في حالة من القطيعة غير العلنية مع التراث النظري السابق، والتي تبرز من خلال مجهودات تنظير جديدة سعى من خلالها أصحابها إلى ابتكار أطر نظرية بديلة عن تلك التقليدية وإن كانت تقف على مقربة منها على اعتبار انها غالبا ما تستعير بعض فرضياتها الرئيسية لاستنساخ فرضيات جديدة. في هذا الشأن يمكن أن نسرد بعض النظريات الجديدة ومنها:

- **نظرية التلاقي أو الدمج** Convergence theory

تعتبر هذه النظرية من بين أهم الأطر المستحدثة التي تسعى لتقديم فهم كامل ومخطط لظاهرة الميديا الجديدة، وهي عبارة عن خلاصة لأهم إسهامات هنري جينكنز وجون بافليك وفريديريك كيتلر الذين يعدّون حاليا من أبرز منظري هذه الظاهرة. ويدور محتوى النظرية حول جملة من الافتراضات الرئيسية أهمها أن هناك تغييرات جسيمة تحدثها تكنولوجيات الإعلام الجديدة على طبيعة التواصل البشري من حيث طرق التواصل وكافة أوجه الحياة.

ويقدم جينكنز المفاهيم الرئيسة للنظرية وهي ثلاث[12]: التلاقي أو الدمج convergence، ثقافة المشاركة participatory culture والذكاء الجماعي collective intelligence. والمقصود بالتلاقي بحسبه هو التدفق المتداخل لمختلف أنواع المحتويات التي تقدمها مختلف تطبيقات الميديا الجديدة: النصوص، الفيديوهات، الصور... وكذا مختلف أنشطة الجماهير التي أصبحت لها القدرة على إنتاج وانتقاء المحتويات. ويصف جينكنز هذا التداخل بالنظام الشامل للميديا الجديدة.

ومن أجل أن يتشكل هذا النظام كما ينبغي فإن المشاركة الفاعلة للجماهير في إنتاج المحتويات تشكل الرابط الأساسي، بحيث تتداخل الأدوار بين حراس البوابة القدم والجماهير وتصبح هذه الأخيرة تلعب نفس دور هؤلاء الحراس في مقابل دورها السلبي السابق. هنا يسمي جينكنز هذا الدور بثقافة

المشاركة، وهي في رأيه أكثر من مجرد عملية تكنولوجية وإنما تتضمن أبعادا اجتماعية وسياسية.

من هذا المنطلق، تصبح الميديا الجديدة بمثابة منتج يجري استهلاكه عبر عمليات جماعية تتم وفقا لقواعد منتظمة قائمة بالأساس على التبادل الواعي والانتقائي للمواضيع من قبل الجماهير نفسها، ويشير جينكنز إلى أن هذا التفاعل الحثيث بين الجماهير هو ما يعطي للميديا الجديدة قوتها في مواجهة الإعلام التقليدي القائم على مركزية الانتقاء. من بين المفاهيم الرئيسة التي انجرت عن هذا التصور للذكاء الاجتماعي نذكر مفهوم التعبئة الذي لوحظ بشكل حثيث أثناء ما سمي بـ"ثورات الربيع العربي"، حيث كانت الجماهير تقود المظاهرات عبر شبكات التواصل الاجتماعي بشكل أثار العديد من التساؤلات.

- **نظرية الرقمنة** Digitalization theory

تتشارك هذه النظرية إلى حد ما مع نظرية التلاقي أو الدمج من حيث نظرتها إلى التداخل بين مختلف أنواع المحتويات التي كانت إلى حد ما مفصولة في الإعلام التقليدي، حيث تشكل الإنترنت بحسب فريديريك كيتلر قاعدة platform شاملة لمختلف أنواع المواد الإعلامية، غير أن هذه النظرية تهتم أكثر بالجانب التقني والإدراكي للعالم وتأثيره على حساب الجانب الثقافي الذي أولاه جينكنز اهتماما أكبر، حيث تعتبر أعمال كيتلر استكمالا معلنا لأعمال مارشال ماكلوهان ولكن بنزعة معايشة للتكنولوجيات الحديثة للإعلام القائمة على الإنترنت والتشبيك.

ويقدم كيتلر مفهوم "نشوة الجهاز" Hardware euphoria كمحور رئيسي لنظريته، وهو يعادل في منظوره مفهوم الحتمية التكنولوجية عند ماكلوهان، ويفسّره هذا المفهوم بتقديم تفسير تاريخي لتطور الاتصال عند الإنسان مختلف عن ذلك الذي قدمه ماكلوهان، فالأهم برأيه أن الإنسان لم ينتقل من تعلم الهجاء إلى الطباعة إلى الاتصال الإلكتروني، وإنما هناك نقطة فاصلة في تاريخ البشرية وهي

اكتشاف التماثل analogy، واختراع الهاتف ومسجل الصوت والمذياع والسينما والتلفزيون مكّن الإنسان من الانتقال إلى طور يحتك فيه مباشرة مع محتويات يدركها بالسمع أو بالبصر، ونهاية هذا الانتقال كانت من خلال الرقمنة digitalization التي أضحت تجمع القدرة على مماثلة الصوت أو الصورة[13].

لقد مكنت الميديا الجديدة ممثلة في كل الوسائط الرقمية من اختزال حقائق الواقع في شكل رموز رقمية، وهذا ما يفسّر بحسبه النشوة الكبيرة التي يحس بها الناس في التعامل مع هذه الوسائط، لأنها أصبحت تشكل بديلا لإنتاج، تخزين وتعاطي الواقع.

- نظرية الذات الثانية Second self theory

من ناحية الفرض العام، تقترب نظرية الذات الثانية لصاحبتها شيري توركل من نظرية الرقمنة، حيث تفترض بأن ثمة اعتمادا كبيرا للناس على وسائط الميديا الجديدة في مختلف مناحي الحياة، غير أن ثمة فرقا جوهريا هنا، فإذا كان كيتلر يرى بأن الناس يرتبطون بالميديا الجديدة لأنها تجسيد للواقع بشكل متماثل، فإن توركل ترى بأن ما يوجد في الميديا الجديدة ليس سوى نمطا ثانيا من الحياة يتقمص فيها الناس ما تسميه "ذاتا ثانية" أو "ذواتا ثانية". ووفقا لتصورها، تقول توركل بأن الناس يجدون في الميديا الجديدة فضاء لممارسة هويتها بحرية أكبر بعيدا عن تلك التي يفرضها التفاعل في التواصل اليومي، وقد مكنت الميديا الجديدة الناس بفضل مميزاتها التقنية والاجتماعية من أن يلعبوا أدوارا عديدة تؤسس لذوات جديدة.

وتشبه توركل ما يحدث أثناء التعاطي مع الميديا الجديدة بسيناريو فيلم يكتبه الجمهور بحيث يسند لنفسه دور الكاتب، المخرج، البطل، الشرير... بحيث يتقمص كل هذه الأدوار بحرية تامة، وهو أمر لا يمكن أن يحدث ضمن نمط الاتصال اليومي الذي يلعب فيه الفرد دورا محددا [14].

- نظرية الكبسة الواحدة One click theory

تشكل هذه النظرية النظرة المستجدة للجماهير التي كان راسل نيومان وآخرون يسمونها بـ"الجماهير المفتتة والسلبية" لما يتعلق الأمر بالإعلام التقليدي، حيث تغيرت موازين القوى بفضل "السمة التحررية" للميديا الجديدة، والتي تعني بأن الجماهير أصبحت أكثر نشاطا وقدرة على صناعة المحتويات أو على الأقل الاختيار بين المحتويات المعروضة عليها.

وتشير آنا أيفرت وجون كالدويل إلى أن الخصائص التي تفرها المواقع الإلكترونية وشبكات التواصل الاجتماعي ومحركات البحث المدمجة فيهما تسمح للجمهور بالوصول إلى أي محتوى عن طريق كبسة زر واحدة، وذلك بدلا من التعرض لمحتويات معينة كانت مفروضة ضمن نطاق الإعلام التقليدي[15].

ويضيف الباحثان بأن هذه النظرية تعتبر مفتاحا رئيسيا لفهم مجمل طرق إنتاج واستهلاك المواد والخطابات المتناقلة عبر الميديا الجديدة، وذلك بفضل جملة من المفاهيم الرئيسية على غرار المشاركة، الانتقاء، التفاعلية، التخصيص[16]..

ويعتبر كل من جون هارتلي، جون بورغس وأكسل برونز بأن هذه النظرية القائمة على الجمهور النشط، والمستمدة أصلا من أعمال هنري جينكنز، اكتسبت قوة كبيرة بفضل الدراسات حول السينما والفيلم في سنوات الثمانينيات، والتي بينت بأن الجماهير لها فعالية كبيرة جدا في تحديد الأفلام الأكثر نجاحا من خلال إتاحة الفرصة لها في الاختيار، غير أن الدخول القوي لشبكة الإنترنت في الحياة الاجتماعية قلب كل شيء رأسا على عقب وحول الجماهير من الاختيار إلى صناعة المحتويات، حيث أصبحت الفيديوهات التي تعرضها الجماهير على مواقع مثل "يوتوب" أو "دايلي موشن" تحظى بنسب متابعة أكثر من تلك التي تنتجها هوليوود[17].

2. منهجيات تحليل الميديا الجديدة: قراءات نقدية

تماما مثلما قلناه بخصوص الأطر النظرية، فإن المناهج التقليدية التي كانت مستخدمة في دراسة وتحليل ظاهرة الإعلام التقليدي واصلت حضورها في

دراسات الميديا الجديدة، وإن كان استخدامها في كثير من الأحيان يصطدم بصعوبات أكثر حدة إذا ما قورنت بالنظريات، ذلك أن الأدوات المنهجية التقليدية تواجه تحديات عديدة عندما يتعلق الأمر بدراسة المجتمعات الافتراضية، وهذه التحديات ترتبط بالأساس بمدى مصداقية البيانات التي قد يحصلها الباحثون من جراء استخدامها، كما ترتبط في بعض الأحيان بالتشكيك في مصداقية وأصالة المواد المنشورة عبر مختلف الوسائط، حيث يختزل نيكولا ميرزوف كل هذه الصعوبات بالقول بأن العالم الرقمي الذي تنبأ به ماكلوهان ووليام غيبسون، صاحب المفهوم الشهير "العالم الافتراضي"، استحال إلى "يوتوبيا رقمية" يصعب إخضاعها للبحث العلمي الرصين والدقيق، معلقا على عبارة ماكلوهان الشهيرة "الوسيلة هي الرسالة" بالقول بأن "الشبح هو الوسيلة"[18].

في هذا الشأن، تشير كلير هيوسن وزملاؤها بأن الإنترنت لطالما اعتبرت كأداة للبحث قبل أن تكون موضوعا له، ذلك أنه سهلت على الباحثين الوصول إلى عدد كبير من المبحوثين كان يتعذر الوصول إليهم سابقا[19] ، غير أن المشكلة كما ذكرنا سابقا لا تتعلق بمدى القدرة على تجميع البيانات، ولكن بمدى مصداقيتها وصلاحيتها لاستخلاص نتائج وتعميمها.

في هذا الصدد، يسوق الباحثون العديد من الصعوبات المنهجية في سبيل دراسة المجتمعات والأفعال الافتراضية، أو الاعتماد على الأنترنت كوسيلة للبحث، فجيمس كوستيغان مثلا يطرح إشكالية غريبة ولكنها مهمة جدا من الناحية المنجية، حيث يقول: "لست واثقا من أنني أعرف الإنترنت جيدا، وكثير من الناس هم مثلي كذلك، نحن لا نعرف عن الإنترنت في الحقيقة سوى جانبها المادي وبعض المهارات في استخدامها، وفي رأيي فإن معرفة هذه الجوانب لا يعني بأننا نفهم هذه الظاهرة جيدا..."[20]، علما وأن أغلب الدراسات تتعامل مع واجهة المستخدم (L'interface d'utilisateur) على أنها هي شبكة الإنترنت في حين أن هناك العديد من الأسئلة الغامضة حول مركز هذه الشبكة ومنابع المعلومات الواردة فيها في كثير من الحالات.

أما بول سيرمون وشارلوت غولد فيتساءلان عن طبيعة حياة الأفراد أثناء التواصل في العوالم الافتراضية إذا ما قورنت بالحياة الاجتماعية، حيث يعتبران بأن ما يحدث عبر مختلف الوسائط الجديدة إنما هو نمط ثان ومختلف من الحياة أطلقا عليه "الحياة الاجتماعية الثانية"، وهي برأيهما شبكة من العلاقات غير المحددة بين مجموعة من الأفراد الحقيقيين أو المزيفين الذين قد يلجؤون لانتحال هويات افتراضية (Des avatars)، وهو الأمر الذي يجعل من الصعب التأكد من هوية هؤلاء الأفراد[21].

إضافة إلى هذا، تثير كلير هيوسن وزملاؤها سؤالا آخر مهما جدا من الناحية المنهجية، والأمر يتعلق بمعايير المعاينات التي يعتمدها الباحثون أثناء التعامل مع المجتمعات الافتراضية، فغالبية المعاينات المستخدمة في بحوث الإنترنت تتسم بعدم التناسق والتحيز لأن الباحثين يلجؤون إلى اختيار عينات قصدية واختيارية، وهي في الأصل انحراف عن القواعد المعمول بها في البحوث الاجتماعية التقليدية[22]، حيث غالبا ما يتصورون بأن جماهير وسائط الميديا الجديدة هي بالضرورة جماهير متعلمة تتقن مهارات استخدام هذه الوسائط أو أن غالبية مستخدمي الإنترنت هم من الشباب مع أنه لا توجد أدلة واضحة على ذلك.

حيث توضح "ميريام ميتزغر" إلى أن المضامين التي يتم تناقلها عبر مختلف الوسائط الجديدة وشبكات التواصل الاجتماعي تمثل بالنسبة للباحثين هاجسا علميا كبيرا بالنظر لارتباطها بأحد الأسس العلمية الرصينة، وهو المصداقية والموثوقية العلمية، وهما برأيها شرطين لازمين ولا غنى عنهما لإنجاز بحوث سليمة ومقبولة منهجيا [23].

رغم هذه النقائص، إلا أن الاعتماد على هذه المناهج يعتبر أمرا روتينيا ومعتادا، فالباحثون في موضوع الميديا الجديدة غالبا ما يلجؤون إلى قائمة محددة من المناهج التي يمكن ذكر أبرزها، وهي:

1.المسوح عبر الإنترنت:

يعتبر هذا الأسلوب المنهجي الأشهر والأكثر انتشارا في بحوث الميديا الجديدة، ويعكس هذا الأسلوب التصور القائم حول دور مختلف الوسائط الحديثة بوصفها أداة تساعد على إنجاز البحوث التقليدية كذلك بالنظر لقدرتها الفائقة على اختصار المسافات والوقت وقدرتها على جعل حجم كبير من المبحوثين في متناول الباحث. ويعتبر كل من "دارسي غرانيلو" و"جوي ويتون" بأن المسوح عبر الإنترنت توفر للباحثين الكثير من المزايا التي تجعل منها أسلوبا مغريا جدا لجمع البيانات، وأهم هذه الميزات اختصار الزمن، التكلفة المنخفضة، سهولة تحصيل البيانات، المرونة والمراقبة الجيدة، ميزة التكنولوجيا في تصنيف البيانات، تسهيل مهمة الباحث في التعمق في جمع البيانات...[24].

غير أن المشكلة كما ذكرنا سابقا فيما يخص البحوث المسحية عبر شبكة الإنترنت تكمن في مدى قدرة الباحث على استيفاء شرط التمثيل في العينات المختارة، ويضاف إلى هذا مشكلة أخرى تصطدم بها أغلب البحوث المسحية عبر شبكة الإنترنت، وهي عدم استجابة الكثير من المبحوثين لطلب الاستفتاء، وذلك راجع إلى انشغالهم أثناء الإبحار عبر الشبكة بقضاء حاجياتهم النفسية والفيزيائية[25].

2. المنهج التاريخي والبحث عبر شبكة الإنترنت

المنهج التاريخي ليس ابتكارا جديدا طبعا لتحليل ظاهرة الميديا الجديدة، ولكنه اكتسب بعدا جديدا بفضل التطبيقات المستحدثة ضمن الفضاءات الافتراضية، بل إنه وجد ضالته بالنظر للقدرة الفائقة للإنترنت على تخزين البيانات في شكل قواعد يمكن العودة إليها في أي وقت. وتوضح الأبحاث بأن المنهج التاريخي المتمحور تحديدا حول تحليل الأرشيفات اكتسب دفعة قوية جدا من خلال التكنولوجيات الجديدة للإعلام والاتصال التي أصبحت وعاء مهما جدا لحفظ المصادر وتسهيل الوصول إليها في أي لحظة.

ويشرح "دافيد شولن" و"صاندرا شولن" في كتابهما الذي يحمل عنوان "مناخ البحث الثقافي والتاريخي الإلكتروني" كيفية الاستعانة بقواعد البيانات من خلال تجربة جامعة شيكاغو، ويؤكدان بأن مصداقية الأرشيف إنما تتضح من خلال الدخول عبر البوابات الرسمية المعروفة، كما يبرزان كيف أن البحث التاريخي عبر شبكة الإنترنت قد يحتاج في بعض الأحيان إلى برمجيات إلكترونية خاصة مع أن الغالب الأعم أن يتم البحث بشكل عادي[26].

وتشير البحوث عموما إلى أن الإنترنت أصبحت أداة جديدة لممارسة البحث التاريخي، ويطلقون على الدراسات التي أجريت في هذا الشأن "التاريخ الإلكتروني" (E-History)، ويعتبرون بأن ما تختزنه الشبكة العالمية بمختلف مواقعها هو تعبير عن وقائع تاريخية محددة لا زالت آثارها ثابتة في شكل نصوص، صور، تسجيلات فيلمية وصوتية والكثير من الأشياء الأخرى التي تصلح لأن تكون محل بحث باستعمال المنهج التاريخي، من أجل الكشف عن انتظامات معينة في بنية المجتمعات البشرية[27].

3. التحليل البنيوي للشبكات

إضافة إلى المسوح الاجتماعية عبر الإنترنت، فقد كان للميزة التكنولوجية للميديا الجديدة أثر مهم جدا على منهجيات البحث الاجتماعي والإعلامي، ذلك أنه سهل على الباحثين التعرف بسرعة فائقة على الكثير من البيانات المرتبطة بالممارسات عبر مختلف الوسائط، وذلك بفضل الحاسبات الرقمية المدمجة في مختلف المواقع الإلكترونية، والتي تسمح بتسجيل الكثير من الممارسات إحصائيا وتوفير قواعد بيانات جاهزة للاستثمار العلمي. وفي مثل هذا الصدد، تبرز عبر شبكات التواصل الاجتماعي مقاييس عديدة أبرزها مؤشر حجم الشبكة (حساب عدد الأعضاء المعجبين)، مؤشر التفاعلية من خلال الإعجابات والمشاركات (هذه الخاصية متوفرة في الكثير من المواقع من خلال إتاحة فرصة المشاركة والتعليق).

كثيرا ما تستخدم الدراسات الأمريكية التطبيقات الهادفة لفك تركيبة شبكات التواصل عبر شبكة الإنترنت مفاهيم على غرار "الجغرافيا الرقمية"، خصوصا لما يتعلق الأمر بتوزيع مستخدمي الشبكة جغرافيا، وهذا الأمر متاح جدا بفعل أنظمة تحديد المواقع بالأقمار الصناعية (جي بي أس)، فيما يستخدم الفرنسيون مفهوما مثل "الشبكات السوسيورقمية" في تصور مقارب لنظرية الباحث جاكوب مورينو حول الشبكات السوسيومترية[28].

4. تحليل المضمون وجدل الكم والكيف

لا يختلف محتوى وسائط الإعلام الجديدة عن نظيرتها التقليدية من حيث كونه مادة علمية قابلة للبحث، وفي هذا الشأن يصلح منهج تحليل المحتوى لأن يكون الأداة المناسبة لذلك، غير أنه من الضروري إجراء بعض التعديلات على طريقة تطبيقه سواء من حيث حساب الترددات الكمية للمحتوى أو من حيث تحليله الكيفي. وفيما يخص الشق الأول المتعلق بالترددات الكمية، فإن الباحثين يستخدمون تحليل المضمون في شكله التقليدي لما يتعلق الأمر ببعض أنواع المواد المتناقلة عبر الوسائط الجديدة على غرار الفيديوهات أو التسجيلات الصوتية، غير أن الميزة التقنية للميديا الجديدة حلت ما كان يمثل عقبة بالنسبة للبحوث التقليدية في دراسة النصوص، حيث من السهل جدا بواسطة محركات بحث ومقاييس إلكترونية معينة تحديد مدى تكرار كلمات معينة.

وهذا الأمر جعل من تحليل المضامين عبر شبكة الإنترنت مهمة أسهل وأسرع، حيث تذكر "سالي ماكميلان" بأن مدة جمع البيانات في تحليل المضمون الإلكتروني تتراوح عادة بين شهر وشهرين، وبأن بعض الدراسات نجحت في جمع البيانات في ظرف يومين فقط، وهي أرقام تعكس فعالية التكنولوجيا في هذا السياق[29].

ويظهر في هذا الصدد برنامج خاص ابتكره الباحثان الأمريكيان "بوير" و"شارل" أطلقا عليه اسم "محلل الويب" (Web analyser)، وهو عبارة عن تطبيق ذكي يقدم حوصلة إحصائية حول المحتويات الغرافيكية للمواقع التي تستخدم

صفحات HTML، وقد تم الاعتماد على هذا البرنامج في الكثير من الدراسات الأمريكية التي سعت للكشف عن الأبعاد والفروق الثقافية التي تتضمنها المواقع المختلفة عبر شبكة الإنترنت[30].

5/ المنهج الإثنوغرافي والدراسات الثقافية الإلكترونية

يشكل المنهج الإثنوغرافي الدعامة المنهجية الأبرز في الوقت الحالي لتحليل الميديا الجديدة من الناحية الاجتماعية والنفسية، وذلك راجع بالأساس إلى ميزته الفائقة في تجاوز الصعوبات التي ذكرناها سابقا وتجاوزه لمشكلة السلامة الإحصائية التي تصر عليها المناهج الوضعية التي تعودت عليها أبحاث الإعلام التقليدي، حيث يتجه هذا المنهج إلى البحث في الخصائص الكيفية لظاهرة الميديا الجديدة ولا يولي أهمية كبيرة لتقديم هذه الخصائص في شكل بيانات كمية.

وبفضل الاستخدام الناجح للإثنوغرافيا في تحليل الميديا الجديدة، فقد تم ابتكار تسميات مستحدثة لهذا المنهج في تعامله مع الوسائط الجديدة، حيث يستخدم "روبرت كوزينتز" مصطلح "النيت-نوغرافيا"[31]، وهو مفهوم يجمع بين الإثنوغرافيا وتسمية الشبكة العنكبوتية، ويرى بأن هذا المنهج ذو فائدة عظيمة في تفسير العلاقات الموجودة داخل الجماعات التي تتكون عبر شبكة الإنترنت وتوظيفها لخدمة الأهداف التسويقية بالدرجة الأولى.

ويقوم البحث الإثنوغرافي الافتراضي أو النيت-نوغرافي، بحسب كوزينتز، على مقاربة بالمشاركة من قبل الباحث، حيث تتم الاستعانة هنا بمفهوم "الحقل" كما هو معتاد في البحوث الإثنوغرافية التقليدية، ويرى بأن الفضاء الافتراضي التفاعلي الذي تشكله وسائط الإعلام الجديد يصلح لأن يكون حقلا للدراسة رغم تحفظ الكثير من الباحثين على ذلك[32].

ولعل أهم الإسهامات المنهجية في البحوث الإثنوغرافية تبرز من خلال تتبع كيفيات اكتساب اللغات الجديدة للتواصل مع الجماعات الافتراضية وتشكيل الهويات المتعددة التي شكلت الموضوع الأشهر في هذا السياق، حيث يمكن العودة

هنا إلى العديد من الدراسات[33] التي تتبعت المنهج النيت-نوغرافي وزاوجته بأدوات أخرى على غرار التحليل السيوسيو-لساني للكشف عن طبيعة اللغات المستخدمة في التواصل بين الجماعات الافتراضية وآليات بناء هويات متعددة عن طريق مختلف التطبيقات التي تزخر بها الميديا الجديدة.

كما أثبت المنهج النيت-نوغرافي باستخدام الملاحظة بالمشاركة فعالية ثمينة في بحوث الجندر والفروق الجنسية عن طريق الهوية عبر شبكة الإنترنت، وقد تم إجراء الكثير من الدراسات بهذا الأسلوب للتعرف على المكانة المتغيرة للمرأة كهوية حقيقية أو كهوية متقمصة أثناء التواجد عبر شبكات التواصل الاجتماعي، وذلك بالاستعانة بالتقديم والتلقي الغرافيكي للهوية بواسطة الأشكال والصور ومنح الجسد الافتراضي العديد من الهويات بحسب طقوس معينة[34].

6. تحليل المحادثات الإلكترونية: بين تحليل المضمون والمنهج النيت-نوغرافي

تستحوذ المحادثات على جزء مهم جدا من ممارسات الاتصال عبر الميديا الجديدة، وهذه المحادثات شكلت تحديا مهما جدا من الناحية البحثية لأنها أصبحت محل اهتمام علمي حثيث من علماء الاتصال، النفس، الاجتماع، الأنثروبولوجيا وحتى علماء الإدارة والتسويق، وذلك بالنظر إلى أن عملية التحادث تختزل في طياتها بنية اجتماعية كاملة تتضمن ملامح جد هامة للتعرف على طبيعة المجموعات الناشئة افتراضيا. ويشكل تحليل المحادثات عبر الشبكة كأسلوب منهجي نقطة الالتقاء بين الاتجاهين الكمي والكيفي في بحوث الميديا الجديدة، حيث أن هناك فريقين متباينين في تصورهما لكيفية تحليل المحادثات بين المبحوثين الافتراضيين:

- **الاتجاه البنائي**: ويتبنى المقاربة الكمية في تحليل المحادثة، وذلك بالاستعانة بمنهج تحليل المضمون بنسخته الإلكترونية، وقد يلجأ إلى الاستعانة بالخصائص التكنولوجية للميديا الجديدة ممثلة في بعض البرمجيات المدمجة أو المنفصلة عن المواقع من أجل تقديم نظرة إحصائية سريعة عن طبيعة المحتويات الواردة في

المحادثات وتوجهاتها العامة، بالإضافة إلى تسجيل بعض السلوكات التي تتضمنها المحادثات، ومثال ذلك برنامج "SAS"[35].

– الاتجاه الإثنوغرافي: ويستعين هذا الاتجاه بالتصورات التقليدية لمنهجية تحليل المحادثات التي قدمتها المدرسة الإثنوغرافية الأولى مجسدة في أعمال "هارولد غارفينكل"، "إرفين غوفمان" و"ديل هيمز". ويفضل هذا الاتجاه التركيز على جوانب أخرى غير تلك الكمية في المحادثة من خلال تحليل السياق العام وإجمال كيفية بناء المعنى من خلال أدوار معينة بين المتحادثين، والتدقيق في طبيعة الهويات وما تختزنه الرسائل المتناقلة من محتويات ثقافية، وذلك بالاستعانة بالتحليل الألسني الذي يقترحه "هيمز".

7. المنهج السيميائي في تحليل الويب:

هناك نمط آخر من التحليل للميديا الجديدة فيه نوع من التحديث بالمقارنة مع شكله التقليدي، وهو التحليل السيميائي. ويستعيد هذا المنهج في أساسه واحدة من النظريات الاستشرافية الأولى التي مهدت وتوقعت بقدوم مجتمع جديد بفضل هذه الوسائط وهي نظرية السبرنطيقا لصاحبها "نوربرت وينر"، والتي كانت تعنى بفهم طبيعة اللغة التي تسمح للإنسان بالتواصل مع الآلة.

ويعتبر "مارك وورشاور" و"دوغلاس غريمس" بأن كل المداخل الأساسية للسيميائيات تصلح لدراسة تطبيقات الميديا الجديدة القائمة على الويب 2.0، ويقدمان دولا توضيحيا يبرز طريقة تصور كل مدخل لكيفية دراسة متضمنات ههذ الوسائط بوصفها ظواهر لغوية كالآتي[36]:

المدخل	نظرته للرسالة	نظرته لغاية المؤلف	نظرته للجمهور
البنيوية structuralism	تجميع من العناصر اللسانية	إنتاج نصوص وفقا للمعايير الألسنية	متلقي سلبي
البنائية constructivism	جملة من المعاني القائمة على نوايا المؤلف	ابتكار المعاني الموجهة لجمهور وهدف معينين	مفكك إيجابي للمعاني
البنائية الاجتماعية Social constructivism	وعاء لخطاب متفق عليه	مدخل إلى جماعات الخطاب	أعضاء نشطين منشئين اجتماعيا من جماعة تخاطبية
المدخل الحواري Dialogisme	معاني متعددة للوساطة بين أفراد متخاطبين	امتلاك وإبداع الكلام أثناء التفاعل	متخاطبين أو متحاورين
ما بعد البنيوية poststructuralism	دلالات متعددة الشكل والنماذج	غائب أو منفي	مفككين للنصوص والرسائل

والملاحظ أن المنهج السيميائي لا يشتكي من الصعوبات التي تجدها المناهج الوضعية في تفسير ظاهرة الميديا الجديدة، ذلك أنه لا يولي أهمية كبيرة للفاعلين بقدر ما يركز التحليل على الرسالة في حد ذاتها، من حيث بنيتها والعلاقات الدلالية الترابطية الكامنة داخلها.

الخاتمة

يبدو من خلال هذه اللمحات السريعة والموجزة داخل فضاءات التنظير للميديا الجديدة والأطر المنهجية المستخدمة في البحوث التطبيقية لتحليل هذه الظاهرة بأن ثمة سعيا ضمنيا للتأسيس لتراث نظري متجدد يعكس خصوصية الإنترنت ومختلف تطبيقاتها داخل الحياة الاجتامعية، حيث أن هناك العديد من الجهود التي تسعى إلى تقديم افتراضات نظرية جديدة تعكس الحالة التي يعيشها المجتمع الإنساني المعاصر بفضل نمو الاعتماد على المواقع الإلكترونية، شبكات التواصل الاجتماعي، المنتديات، الهواتف الذكية، التسوق الإلكتروني...

غير أنه لا بد من تسجيل ملاحظة مهمة في هذا السياق، وهي أن النظريات المؤسسة حديثا كإطار لتفسير وظائف وآثار الميديا الجديدة لم تستطع التخلص من تبعيتها للباراديغمات النظرية الكبرى المعروفة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، والتي أثبتت سعتها النظرية الكبيرة لأنها واصلت إمدادها للنظريات المستحدثة بالفروض الرئيسية وببعض الأدوات المنهجية اللازمة لإنجاز البحوث التطبيقية والميدانية.

ومن هنا، فإنه باستثناء بعض المنهجيات الصاعدة المستمدة أصلا من الميزة التقنية للميديا الجديدة، وهي في الأصل منهجيات كمية، فإن الكثير من الدراسات لم تستطع أن تبتكر منهجيات جديدة تتلاءم والظاهرة المستحدثة، وهذا الأمر يعكس إلى حد ما صعوبات كبيرة في التعامل بشكل علمي سليم مع ظواهر على غرار الهويات الافتراضية، بنية المجتمعات الافتراضية، صدق المحتوى المعروض على الإنترنت، صدق المحادثات...

إن مثل هذه الصعوبات تشير بالتأكيد إلى أن ثمة حاجة لبذل المزيد من المجهودات على المستويين النظري والمنهجي من أجل الوصول إلى مستويات أكثر تقدما في فهم ظاهرة الميديا الجديدة، ومن هنا فإننا نعود من جديد إلى ما قلناه في المقدمة حول فحوى تقرير معهد السلام الأمريكي، فالظاهرة آخذة في التوسع

والهيمنة على مختلف أنشطة الحياة الاجتماعية اليومية، غير أن إثبات وجودها وآثارها بالدليل العلمي الإمبريقي القاطع لا يزال يحتاج إلى بعض الوقت.

❖ هوامش البحث

(1) Sean Aday et al.: **Advancing New Media Research**. Special report of the United States Institute of Peace. Washington. 2010. P 2.

(2) Denis McQuail: **McQuail's mass communication theory**. 2010. P.467.

(3) Kim Sung Tae & David Weaver: **Communication Research About the Internet: A Thematic Meta-analysis. New Media & Society**. Vol 4. No 4. P 521.

(4) Dominique Wolton: Internet et après? **Une théorie critique des nouveaux médias. Flammarion**. Paris. 1999. P 31.

(5) John Hartley, Jean Burgess & Axel Bruns: **A companion to new media dynamics**. Wiley Blackwell. London. 2013. P 15.

(6) فرانسيس بال: الميديا. ترجمة: فؤاد شاهين. دار الكتاب الجديد المتحدة. بيروت. 2008. ص-ص 127-128.

(7) Marshall McLuhan: **Understanding the media**. The MIT Press. London. 1994.

(8) Paul Taylor: Critical theory 2.0 and im/materiality: The bug in the machinic flows. Interactions: Studies in Communication & Culture. Vol 1. No 1. 2009. PP 93-110.

(9) Theo Rohle: Power, reason and closure: Critical perspectives on new media theory. New Media & Siciety. Vol 7. No 3. 2005. P-P 409-412.

(10) Roberte Samuels: **New media, cultural studies, and critical theory after postmodernism.** Palgrave McMilan. New York. 2009. P. 107.

(11) Henry Jenkins: Convergence Culture: **Where old and new media collide**. The New York University Press. New York. 2006. P. 241.

(12) Henry Jenkins: Op. Cit. P-P 2-6.

(13) Friederich Kittler**: Gramophone, film, and typewriter**. Stanford University Press. Stanford. 1999. P. 63.

(14) Sherry Turkle: Who am we ?. Wired. New York. January 1996. P 149.

(15) Anna Everett & John Caldwell: **New media theories and practices of digitexteuality**. Routledge. New York. 2003. P. 5.

(16) IBID. p. 14.

(17) John Hartley, Jean Burgess & Axel Bruns: Op. Cit. P 24.

(18) Nicholas Mirzoeff: Network Subjects or, **The Ghost is the Message. In: Wendy Hui Kyong Chun & Thomas Keenan: new media**, old media: A History and Theory Reader. Routeledge. New york. 2006. P 335.

(19) Claire Hewson et al.: **Internet research methods**: A practical guide for the social and behavioural sciences. Sage Publications. London. 2003. P 11.

(20) James Costigan: Forests, trees and the internet research. In: Steve Jones et al,: Doing internet research: critical issues and methods for examining the Net. Sage Publications. London. 1999. P. 1.

(21) Paul Sermon & Charlotte Gould: Liberate your Avatar The Revolution Will Be Socially Networked. In: Astrid Ensslin & Eben Muse (ed): Creating Second Lives: Community, Identity and Spatiality as Constructions of the Virtual. Routeledge. New York. 2011. P15.

(22) Claire Hewson et al.: Op. Cit. P 28.

(23) Miriam Metzger: Making sense of credibility on the Web: Models for evaluating online information and recommendations for future research. Journal of The American Society for Information Science and Technology. Vol 58. No 13. 2007. P 2078.

(24) Darcy Granello & Joe Wheaton: Online Data Collection: Strategies for Research. Journal of Counseling & Development. Vol 82. FALL 2004. PP. 388-389.

(25) IBID. P. 389.

(26) David Schloen & Sandra Schloen: An online cultural and historical research environment. Winona Lake. Indiana. 2012. PP 6-7.

(27) Albert Meroño-Peñuela et al.: Semantic technologies for historical research: A Survey. P 9. (on ligne): http://semantic-web-journal.org/sites/default/files/swj301.pdf Visité: 30/7/2014.

(28) Alexandre Coutant & Thomas Stenger: Analyse structurale des réseaux sociaux, netnographie, ethnologie des communautés en ligne…Comment étudier les réseaux socionumériques?. PP 3-4. (en ligne): http://www.unamur.be/eco/schu/aislf2010/actes/reseaux%20socionumeriques_Coutant_Stenger.pdf visité: 30/7/2014.

(29) Inhwa Kim & Jasna Kuljis: Applying content analysis to web-based content. Journal of Computing and Information Technology. Vol 18. No 4. 2010. P 371.

(30) IBID. P 371.

(31) Robert Kozinets: Netnography, Doing ethnographic research online. Sage Publications. London. 2010.

(32) Gary Bowler: Netnography: A Method Specifically Designed to Study Cultures and Communities Online. The Qualitative Report. Vol 15. No 5. 2010. P 1271.

(33) يمكن العودة إلى هذا الكتاب الجماعي الذي يتضمن الكثير من الدراسات حول هذا الموضوع: Rotimi taiwo et al.: Research on discourse behavior and digital communication: Language structures and social interaction. Hershey. New York. 2010.

(34) Sonia Fizek & Monika Wasilewska: Embodiment and gender identity in virtual worlds: Reconfi guring our volatile bodies. In: Astrid Ensslin & Eben Muse (ed): Op. Cit. PP 75-98.

(35) للتعرف أكثر على هذا البرنامج يمكن العودة إلى موقعه الرسمي: http://www.sas.com/offices/europe/france/magazine/2010q2/art5-nouveaux-enjeux-reseaux-sociaux.html?

(36) Mark Warschauer & Douglas Grimes: Audience, authorship, and artifact: the emergent semiotics of web 2.0. *Annual Review of Applied Linguistics.* N° 27. 2007. P 3.